

أضواء البيان

@ 162 @ العذاب ، وسبقت له في علم الشقاوة لا ينفعه وضوح أدلة الحق ، وذكر هذا المعنى في آيات كثيرة كقوله تعالى : { وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ } وقوله : { وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا } ، وقوله : { وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَذِبًا } { وَمَا يُعْرَضُونَ } وقوله : { وَكَأَيِّنْ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ } وقوله : { سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } . . . والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً . . .

قوله تعالى : { إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غِظَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ } { إِلَى حِينٍ } . . .
 ظاهر هذه الآية الكريمة أن إيمان قوم يونس ما نفعهم إلا في الدنيا دون الآخرة ، لقوله : { كَشَفْنَا عَنْهُمْ غِظَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } . . .
 ويفهم من مفهوم المخالفة في قوله : { فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } أن الآخرة ليست كذلك ، ولكنه تعالى أطلق عليهم اسم الإيمان من غير قيد في سورة (الصافات) والإيمان منقذ من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، كما أنه بين في (الصافات) أيضاً كثرة عددهم وكل ذلك في قوله تعالى : { وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مَلَأَةٍ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ } { فَأَمَّنُوا فَمَزَّجْنَاهُمْ } { إِلَى حِينٍ } . ! 77 ! قوله تعالى : { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا } . . .

صرح تعالى في هذه الآية الكريمة : أنه لو شاء إيمان جميع أهل الأرض لآمنوا كلهم جميعاً ، وهو دليل واضح على أن كفرهم واقع بمشيئته الكونية القدرية . وبين ذلك أيضاً في آيات كثيرة كقوله تعالى : { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا } ، وقوله : { وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا } ، وقوله : { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ } { عَلَى الْهُدَى } إلى غير ذلك من الآيات . . .

قوله تعالى : { أَفَأَنْتَ تُكْرِهُهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا } { مُؤْمِنِينَ } . . .
 بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن من لم يهده الله فلا هادي له ، ولا يمكن أحداً أن يقهر قلبه على الانسراح إلى الإيمان إلا إذا أراد الله به ذلك . . .

وأوضح ذلك المعنى في آيات كثيرة كقوله : { وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنُ

تَمْلِكْ لَهُ مِنْ اللَّامَةِ شَيْئًا { ، وقوله : { إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ
فَإِنَّ اللَّامَةَ لَا يَهْدِي مَنْ يَضِلُّ }